زمن الابتلاء
كورونا

د. صغير بن محمد الصغير

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

زمن الابتلاء (كورونا)

صغيّر بن مُحَمَّد الصغيّر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه نستعين

رب يسّرو أعن وبارك يا كريم

بعد حمد الله تعالى والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه..

وبعد/

فلازلنا نعيش زمن ابتلاء عمّ العالم أجمع واختلفت فيه الرؤى والتكهنات والنظريات، هل هو تسريبات من معامل مختبرية؟ لتحقيق أهداف اقتصادية وسياسية، أم صناعة لكسب تحالفات وهيمنات قوية أم صدفة بعثها الله تعالى لإنذار عباده أم جمعت بين ذلك كله ؟

لكن الجميع مجمعون على أنّه بلاء طال العباد وجال البلاد و ابتليت فيه الشعوب، ومن آخر شهر جمادى عام ١٤٤١هـ والحالات تظهر هنا وهناك حتى قيل في الدراسات والنظريات شهران بالكثير وينتهي ثم توالت الدراسات حتى قالوا في رمضان ينتهي، فشوال والان في ذي القعدة ولازال يسري ويعود .. ولعل شهر ذي القعدة يلفتنا إلى شيء مهم لأنه شهر حرام يعظم فيه الأجر ويعظم في الوزر،.. ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾(١) حيث أن

(١) [التوبة: ٣٦].

تفضيل بعض الشهور على بعض عندنا كمسلمين مؤمنين موحدين لحكم كثيرة، من أهمها: ربط البشر بخالقهم والالتفات إلى حياة أخرى، وغرس تلك العلاقة أكثر .. وليفلت النظر عند أهل العلم وأصحاب التفكر أنّ هناك أسباباً لما يجري في الكون مادية و كونية وشرعية فوضعت العبادات وتفضيلات الأمكنة الزمانية والمكانية لتعيد الأمور إلى نصابها عند العباد، فعالمنا المعاصر استغرق الأسباب المادية وتحليلاتها، حتى طغت تلك الأسباب عند الكثيرين للأسف الشديد، ولم يلتفت لبقية الأسباب الأخرى، فبدأنا يومياً في زمن الابتلاء كورنا نتحدث عن أثر التباعد ولبس الكمامة والتعقيم ، واللقاح والدواء الفلاني وتأثيره، وهذا أمر طبعي كوني وحق لا مرية فيه، لكننا في المقابل أغفلنا جملة لها تأثير أكبر مما نذكره يومياً، حتى أنّ الأطباء الأوائل أنفسهم ذكروا

الطبّ بالأدوية الإلهية كالدعاء والصدقة والرقية، وأنها أشرف وأعظم وأنفع من طبّهم، فبقراط يقول: "نسبة طبِّنا إلى طبّ أرباب الهياكل كنسبة طب العجائز إلى طبِّنا"(١). ومن هذا المنطلق فإني في هذه الورقات سأركز على هذا الجانب لعل الله تعالى يزيح عنا زمن الابتلاء ويرفعه إنه سميع مجيب..

في أحلك الظروف
الفرج مع الكرب سنة كونية

في أحلك الظروف يجب أن تنظر من زاوية أخرى شديدة الاتساع متفائلةٍ جداً، تخيل معي لحظة والنبي ﷺ في المدينة ومعه المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم وهم محاصرون من قبل ألد

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٤/٢٦٨)، (١٩/٣٢).

أعدائهم، يأمر رسولُ اللهِ ﷺ أصحابه بحَفْرِ الخَنْدَقِ ليكون سبباً في حفظ الله لهم من أعدائهم، يقول البراء رضي الله عنه: لَمَّا أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ نَحْفِرَ الْخَنْدَقَ عَرَضَ لَنَا فِيهِ حَجَرٌ لَا يَأْخُذُ فِيهِ الْمِعْوَلُ فَاشْتَكَيْنَا ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَلْقَى ثَوْبَهُ، وَأَخَذَ الْمِعْوَلَ وَقَالَ: «**بِسْمِ اللهِ، فَضَرَبَ ضَرْبَةً فَكَسَرَ ثُلُثَ الصَّخْرَةِ**» قَالَ: «**اللهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِحَ الشَّامِ، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ الْآنَ مِنْ مَكَانِي هَذَا**» قَالَ: ثُمَّ ضَرَبَ أُخْرَى وَقَالَ: «**بِسْمِ اللهِ، وَكَسَرَ ثُلُثًا آخَرَ**» وَقَالَ: «**اللهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِحَ فَارِسَ، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ قَصْرَ الْمَدَائِنِ الْأَبْيَضَ الْآنَ، ثُمَّ ضَرَبَ الثَّالِثَةَ**» وَقَالَ: «**بِسْمِ اللهِ، فَقَطَعَ الْحَجَرَ**» قَالَ: «**اللهُ أَكْبَرُ،**

أُعْطِيتُ مَفَاتِحَ الْيَمَنِ، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ بَابَ صَنْعَاءَ»(١) .. وماهي إلا سنوات وفتحت الشام والعراق وفارس واليمن.

الله أكبر .. لم يكن هذا الحدث عادياً إنه لتعليم الأمة أن تتربى على التفاؤل، وأن الأحداث المؤلمة ستنتهي، ويأتي بعدها الخير الكثير، ما دمت متفائلاً تظن بخالق الكون وما يجري فيه ظناً حسناً ..

وفي صلح الحديبية لما فُرِغ من قضية الكتاب الذي كانت وقعته شديدة على أصحاب رسول الله ﷺ، حتى إنه لما قال لهم رسول الله ﷺ: «**قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا**»، قال الراوي: فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ

(١) أخرجه النسائي(٨٨٠٧)، وأحمد(١٨٦٩٤)، وغيرهما. وضعف إسناده محققوا طبعة الرسالة(٣٠/٦٢٦).

يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ -لشعورهم والله أعلم بأنه غبنوا- قال الراوي: فقام ﷺ فدَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ، اخْرُجْ ثُمَّ لاَ تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً، حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ، فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا، فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا، ...ثم رجع إلى المدينة وفي مرجعه أنزل الله عليه: ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا * لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا * وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا**﴾(١)، فقال عمر: أو فتح هو يا رسول الله؟ -

(١) [الفتح : ١، ٣].

فكأنّ الأمور والأحداث حوله لا تشير بذلك- قال ﷺ: نعم فقال الصحابة: هنيئا لك يا رسول الله فما لنا ؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾(١)(٢)..الله أكبر .. تبيّن بعد ذلك أنّ الفتح المذكور هو صلح الحديبية إذ اتسعت بعده دائرة الدعوة لدين الله عز وجل، ودخل الناس في دين الله أفواجا، فلذا سماه الله فتحاً مبيناً، أي: ظاهراً جلياً، ولهذا عندما يقّدر الله أمراً من

(١) [الفتح : ٤].

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه"(٢٧٣١)، وانظر حديث أنس بن مالك: أخرجه البخاري في "صحيحه"(٤١٧٢)، ومسلم في "صحيحه"(١٧٨٦).

الأمور الكونية أو الشرعية يجب على المؤمن أن يجزم بأن تقدير الله هو الخير بعينه(١)!! وليس خيراً فقط بل هو خير كثير ..

بل أعظم من ذلك دلّت السورة والقصة على أنّه في حالة الصعوبات والابتلاءات لا يترك الله المؤمنين وحدهم، بل يثبتهم وينزل عليهم السكينة والطمأنينة والنصر والفتح والخير حتى لو كان ظاهرُ الحال غيرَ ذلك..

لكن يا ترى ماذا يريد الله من الأمة حين يبتليها ؟

إنه يريد الانكسار وشدة التضرع إليه ودعائه والالتجاء إليه .. قف معي على هذا المشهد .. في غزوة بدر وعدد المشركين وقوتهم المادية الظاهرة أضعاف ما عليه المسلمون،

(١) تفسير السعدي (ص٧٩١).

وحينما يحمى الوطيس يقف بأبي وأمي ﷺ كما يروي ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «**اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ**»، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ**

﴿لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩] فَأَمَدَّهُ اللهُ بِالْمَلَائِكَةِ (١).

فتأمل: قوله "ماداً يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه"، إي والله أنجز الله وعده لنبيه ﷺ، ونصر عبده، وهزم جموع المشركين وحده.

يريد الله أن نعود إليه ونكثر من استغفاره ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾(٢)، يريد الله أن يتوب علينا .. ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه"(١٧٦٣).

(٢) [الأنفال: ٣٣].

يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾(١) وثمة وقفات مع الاستغفار ستمر معنا بإذن الله..

الصبر في زمن الابتلاء

وعد الصابرين على الابتلاء بقوله: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(٢) وبشرهم عليه الصلاة والسلام بقوله «مَا يَزَالُ البَلَاءُ بِالمُؤْمِنِ وَالمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»(٣) .

---

(١) [النساء: ٢٧].

(٢) [الزمر: ١٠].

(٣) صحيح؛ أخرجه الترمذي(٢٣٩٩)، وصححه الألباني في "صحيح الجامع"(٥٨١٥).

لقد ترجم الصحابة ﷺ آيات الصبر التي بلغت نحواً من تسعين آية في القران الكريم إلى واقع عملي، وبنظرةٍ سريعة نأخذ أنموذجاً منهم في صبره وقت بلاء الأوبئة والطواعين، فهذا أبو عبيدة ﷺ أمين هذه الأمة –ومن أحباب رسول الله ﷺ كما ذكرت ذلك عائشة ﷺ– إذ لما أُمِرَ الناس في التفرق بالجبال صبر أبو عبيدة ﷺ وبقي قائماً على شؤون الباقين والمصابين حيث قال معلِّلاً سبب ثباته: إِنِّي فِي جُنْدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَا أَجِدُ بِنَفْسِي رَغْبَةً عَنْهُمْ»(١).

وروى ابن المبارك عن الحارث بن عميرة أنه قَالَ: قَالَ أَخَذَ بِيَدِي مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ فَأَرْسَلَهُ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ فَسَأَلَهُ كَيْفَ

(١) انظر: تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري (٤/ ٦١)، الكامل في التاريخ لابن الأثير(٢/٣٧٧).

هُوَ! وَقَدْ طُعِنَّا فَأَرَاهُ أَبُو عُبَيْدَةَ طَعْنَةً خَرَجَتْ فِي كَفِّهِ فَتَكَاثَرَ شَأْنُهَا فِي نَفْسِ الحَارِثِ وَفَرَقَ مِنْهَا حِيْنَ رَآهَا فَأَقْسَمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِاللهِ مَا يُحِبُّ أَنَّ لَهُ مَكَانَهَا حُمْرَ النَّعَمِ"(١) اهـ. وما ذاك إلا لصبره وقوة إيمانه بقضاء الله وقدره ..

وروى الطبري بإسناده: لما اشتعل الوجع (الطاعون) قام أبو عبيدة في الناس خطيباً فقال: "أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ هذا الوجع رحمة بكم، ودعوة نبيّكم، وموت الصالحين قبلكم.."(٢).

---

(١) أخرجه ابن المبارك في "الزهد" (٨٨٣)، والحاكم (٣/ ٢٦٣)، والطبراني في "الكبير" (٣٦٤)، وانظر سير أعلام النبلاء(١٧/٣)، ط دار الحديث، قال محققها: حسن لغيره.

(٢) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك ط العلمية (٢/ ٤٨٨).

وعن سعيد المقبري قال: لما أصيب أبو عبيدة قالوا لمعاذ بن جبل: «صلِّ بالناس»، فصلى معاذ بهم، ثم خطب فقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ مِنْ ذُنُوبِكُمْ تَوْبَةً نَصُوحًا، فَإِنَّ عَبْدَ اللَّهِ لَا يَلْقَى اللَّهَ تَائِبًا مِنْ ذَنْبِهِ إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ» ثُمَّ قَالَ: «إِنَّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فُجِعْتُمْ بِرَجُلٍ وَاللَّهِ مَا أَزْعُمُ أَنِّي رَأَيْتُ مِنْ عَبَّادِ اللَّهِ عَبْدًا قَطُّ أَقَلَّ غَمْزًا وَلَا أَبَرَّ صَدْرًا، وَلَا أَبْعَدَ غَائِلَةً، وَلَا أَشَدَّ حُبًّا لِلْعَاقِبَةِ، وَلَا أَنْصَحَ لِلْعَامَّةِ مِنْهُ فَتَرَحَّمُوا عَلَيْهِ رَحِمَهُ اللَّهُ.."(١) وذلك هو أبو عبيدة بن الجراح، فترحموا عليه ﷺ.

(١) أخرجه الحاكم في "المستدرك على الصحيحين"(٥١٤٨)، وسكت عنه الذهبي في تلخيصه(٥١٤٨).

لقد قضى في طاعون عمواس عددٌ كبير من الناس بلغ نحواً من ثلاثين ألفاً وأصيب به مئات الآلاف منهم خيار صحابة رسول الله ﷺ كأبي عبيدة عامر بن أبي الجراح ومعاذ بن جبل، ويزيد بن أبي سفيان، وشرحبيل بن حسنة، وبلال بن رباح، والفضل بن العباس، وأبو مالك الأشعري، وضرار بن الأزور، وغيرهم رضي الله عنهم.. وقد ترجموا آيات الصبر والثبات حتى إنّ معاذَ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال :سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: سَتُهَاجِرُونَ إِلَى الشَّامِ فَيُفْتَحُ لَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ دَاءٌ كَالدُّمَّلِ أَوْ كَالْحَرَّةِ يَأْخُذُ بِمَرَاقِّ الرَّجُلِ يَسْتَشْهِدُ اللَّهُ بِهِ أَنْفُسَهُمْ، وَيُزَكِّي بِهِ أَعْمَالَهُمْ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطِهِ هُوَ وَأَهْلَ بَيْتِهِ الْحَظَّ الْأَوْفَرَ مِنْهُ، فَأَصَابَهُمُ الطَّاعُونُ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ فَطُعِنَ فِي

أُصْبُعِهِ السَّبَّابَةِ، فَكَانَ يَقُولُ: مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لِي بِهَا حُمْرَ النَّعَمِ"(١)

نعم أيها المبارك المسلم لا يطلب الابتلاء ولا المرض بل يتعوذ منه، كما تعوذ النبي ﷺ من البرص والجنون والجذام وسيء الأسقام(٢)، وعليه أن يبذل كافة الأسباب الشرعية والكونية والمادية التي تقيه بإذن الله من الإصابة بهذا الوباء أو ذاك، كما اجتهد عمر رضي الله عنه في عدم دخول الشام لما أصيبت،

(١) أخرجه أحمد(٢٢٠٨٨)، وقال محققوا المسند: "المرفوع منه صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه".

(٢) عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ البَرَصِ، وَالْجُنُونِ، وَالْجُذَامِ، وَمِنْ سَيِّئِ الْأَسْقَامِ» صحيح؛ أخرجه أبو داود(١٥٥٤)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود.

وكما اجتهد عمرو بن العاص ﷺ في تفرقة الناس في الجبال.. لكنّ المؤمن إذا أصيب فعليه الرضا بقضاء الله وقدره فذلك يُعَدُّ رحمةً له وخيراً قال رسول الله ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»، رواه مسلم(١)...

لقد استجاب الله تعالى لأيوب عليه السلام لما ناداه، ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾(٢) وكشف ما به مِن ضُرٍّ وآتاه أهله ومثلهم معهم رَحْمَةً مِّنْه وذكرى ، نعم إذا حقق المؤمنون التقوى وصبروا، وتابوا، ولجؤوا، وتضرعوا إلى

(١) صحيح مسلم(٢٩٩٩).

(٢) [الأنبياء: ٨٣].

الله، وأكثروا من الاستغفار، وتفاءلوا، وتوكلوا على ربهم، وبذلوا الأسباب الشرعية مع المادية، رفع الله عنهم البلاء والوباء، بل جعله الله رحمةً لهم كما جعل الطاعون رحمةً للصحابة ﷺ، أمّا إذا ركنوا للماديات وتعلقوا بأسباب البشر فقط، وكلهم الله لما تعلقوا به فـ «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ»(١) كما أخبر النبي ﷺ ..

(١) حسن؛ أخرجه الترمذي(٢٠٧٢)، وحسنه الألباني في "غاية المرام"(٢٩٧)

الاستغفار في زمن الابتلاء

حينما يحثنا الله تعالى على الاستغفار كما في قوله سبحانه ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾(١).

ويؤكد ذلك المصطفى عليه الصلاة والسلام كما في قوله: « طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا»(٢) .. قما هذا إلا لعظم شأن الاستغفار خاصةً في زمن الابتلاءات

فكما أنّه يجب على المؤمن في زمن الابتلاء وحال الضر أن يلجأ إلى الله تعالى ويتضرع إليه.. ويصدق في الإخلاص

---

(١) [هود: ٣].

(٢) صحيح؛ أخرجه ابن ماجه(٣٨١٨)، وصححه الألباني في "المشكاة"(٢٣٦).

والتوبة.. لابد أن يكثر الاستغفار.. يقول الله جل وعلا: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾(١).. ويكون الاستغفار مع التوبة ومع الندم لا مجرد كلام ..

عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**منْ لَزِمَ الاسْتِغْفَار، جَعَلَ اللَّه لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مخْرجًا، ومنْ كُلِّ هَمٍّ فَرجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ**»(٢).

---

(١) [الأنفال: ٣٣].

(٢) ضعيف؛ أخرجه أبو داود(١٥١٨)، والنسائي في "الكبرى"(١٠٢١٧)، وابن ماجه(٣٨١٩)، وضعفه الألباني في "ضعيف الجامع الصغير"(٥٨٢٩).

وعنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رسُولُ اللَّه ﷺ: منْ قَالَ: «**أَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُو الحيَّ الْقَيُّومَ وأَتُوبُ إِلَيهِ، غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ وإِنْ كَانَ قَدْ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ**» رواه الحاكِمُ، وقال: حدِيثٌ صحيحٌ على شَرْطِ البُخَارِيِّ ومُسلمٍ(١).

وعنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ ﷺ عن النَّبِيِّ ﷺ قالَ: سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: **اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ**

(١) صحيح لغيره، أخرجه الطبراني في المعجم الكبير(٨٥٤١)، والحاكم في "المستدرك"(٢٥٨٦)؛ وقال: "حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه"، وقال الذهبي: "على شرط مسلم" "تلخيص الذهبي"(٢٥٥٠)، وقال الألباني: "صحيح لغيره" في "صحيح الترغيب"(١٦٢٢).

بِـذَنْبِي فَـاغْفِرْ لِي، فَإِنَّـهُ لاَ يَغْفِـرُ الـذُّنُوبَ إِلَّا أَنْـتَ " قَـالَ: «وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَـا، فَمَـاتَ قَبْـلَ أَنْ يُصْـبِحَ، فَهُـوَ مِـنْ أَهْـلِ الجَنَّـةِ» رواه البخاري(١)

لنكثر منه في البيوت وعلى الموائد والفرش، وفي الطرقات والأسواق والمراكب وأينما كنا.. فإنا لا ندري متى تنزل المغفرة.. لنكثر منه خاصةً في هذا الوقت الذي عمّ به بلاءُ هذا الوباء.. ليكن الاستغفار سلاحًا ضده، أعاذنا الله منه .. وليكن سبيلاً يُصَدُّ به تسلُّطُ الأعداء، ومنكرات السفهاء، والأمراض المعدية، والزلازل والفيضانات، وسائر الابتلاءات..

(١) صحيح البخاري(٦٣٠٦).

الصدقة في زمن الابتلاء

كم هو مؤثر هذا الحديث خاصةّ في زمن الابتلاء: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ اللهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**» متفق عليه(١)، إنّ اتقاء النار بشق تمرة حتماً أنه اتقاءً لما هو أقل منها.

الصدقةَ مِن أهمِّ أسباب دفع البلاء قبل وقوعه وبعد وقوعه، فعن أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى المصَلَّى، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ: «**يَا**

(١) متفق عليه؛ أخرجه البخاري(٦٥٣٩)، ومسلم(١٠١٦).

مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ» متفق عليه(١).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "وفي هذا الحديث من الفوائد... أن الصدقةَ تدفَعُ العذاب"(٢).

وقال العلامة ابن القيم: "للصدقة تأثيرٌ عجيب في دفع أنواع البلاء، ولو كانت من فاجر أو ظالم، بل مِن كافر، فإن الله تعالى يدفع بها عنه أنواعًا من البلاءِ، وهذا أمرٌ معلوم عند الناس، خاصتهم وعامتهم، وأهل الأرض كلُّهم مُقِرُّون به؛ لأنهم قد جرَّبوه"(٣).

---

(١) متفق عليه؛ أخرجه البخاري(٣٠٤)، ومسلم(٨٨٩).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١/ ٤٠٦).

(٣) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٣١).

وقال رحمه الله: "في الصدقة فوائدُ ومنافع لا يحصيها إلا الله؛ فمنها أنها تقي مصارعَ السوء، وتدفع البلاء حتى إنها لتدفَعُ عن الظالم" اهـ (١).

وفي شأن الأمراض والأوبئة خاصة نجد قوله ﷺ: «**وَدَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ**» (٢) قال ابن الحاج رحمه الله: "والمقصود من الصدقة أن المريض يشتري نفسه من ربه سبحانه بقدر ما تساوي نفسه عنده، والصدقة لا بد لها من

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ٢٥٤).

(٢) حسن لغيره؛ أخرجه أبو داود في "المراسيل"(١٠٥)، وحسنه الألباني في "السلسلة الضعيفة"(٣٤٩٢).

تأثير على القطع؛ لأن المخبر ﷺ صادق، والمخبَر عنه كريم منان"(١)..

كيف لا يكون ذلك؟ وقد قال ﷺ: «**الْمَعْرُوفُ إِلَى النَّاسِ يَقِي صَاحِبَهَا مَصَارِعَ السُّوءِ، وَالْآفَاتِ، وَالْهَلَكَاتِ**»(٢).

ثم لنلاحظ ما قاله ﷺ حين فزع الناس لكسوف الشمس: قال «**فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ، فَادْعُوا اللَّهَ، وَكَبِّرُوا وَصَلُّوا**

(١) المدخل لابن الحاج (٤/ ١٤١).

(٢) صحيح؛ أخرجه الحاكم في المستدرك"(٩٤٣)، وصححه الألباني في "الصحيحة"(١٩٠٨). وفي لفظ عند الطبراني في الأوسط(٩٤٣): "إِنَّ صَنَائِعَ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السَّوْءِ".

وَتَصَدَّقُوا»(١)، قال ابن دقيق العيد رحمه الله في شرحه له: "وَفِي الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى اسْتِحْبَابِ الصَّدَقَةِ عِنْدَ الْمَخَاوِفِ، لِاسْتِدْفَاعِ الْبَلَاءِ الْمَحْذُورِ"(٢)(٣).

فالحمد لله الذي جعل الصدقة تُطفئ غضَبَه، وتمحو خطايا بني آدم وتُذهِبُ نارَها وتدفع البلاء وترفعه.. والحمد لله الذي جعل الصدقة مال رابح ، كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَخْلٍ، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ المِسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ

---

(١) متفق عليه؛ أخرجه البخاري(١٠٤٤)، ومسلم(٩٠١).

(٢) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام (١/ ٣٥٣).

(٣) مختصر من مقال: سنابل الخير لفيصل البعداني:
https://www.saaid.net/Anshatah/dole/٢٥.htm

مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ [آل عمران: ٩٢] قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ [آل عمران: ٩٢] وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ، أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**بَخٍ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ**» فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ. متفق عليه(١)

(١) متفق عليه؛ أخرجه البخاري(١٤٦١)، ومسلم(٩٩٨).

أثر صدقة الماء في زمن الابتلاء

وإذا كان هذا الأثر للصدقة عموماً في زمن البلاء _خاصةً ما يتعلق بالأوبئة والطواعين_ ، فاليوم ومع اشتداد فصل الصيف وهذه الأجواء الحارَّة، ثمة صدقةٌ من نوع خاص يحتاج الناس للاستزادة منها فهي تخصّ نعمةً من أعظم النِّعَم وأجلِّها، ولا غنى لكائن حي عنها، إنها نعمة الماء ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾(١)، ومن هنا كان لزامًا شكر هذه النعمة من المنعم المتفضِّل سبحانه: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ * لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾(٢)،

---

(١) [الأنبياء: ٣٠].

(٢) [الواقعة: ٦٨ - ٧٠].

ومع أنّ من أعظم شكرها التصدُّق بما فَضُلَ منها وإهداؤها إلا أنها بإذن الله سبب عظيمٌ لدفع البلاء، ففي حديث سَعْد بْن عُبَادَةَ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**سَقْيُ الْمَاءِ**». رواه ابن ماجه، وحسَّنه الألباني(١).

وروي في الحديث: «**أَيُّمَا مُسْلِمٍ سَقَى مُسْلِمًا عَلَى ظَمَأ سَقَاهُ اللَّهُ مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ**»؛ رواه أبو داود(٢).

كيف لا؟ ورجل دخل الجنة بسبب كلبٍ سقاه! فكيف ببني آدم وكيف بمسلمٍ إذًا؟

---

(١) حسن؛ رواه ابن ماجه(٣٦٨٤)، وحسنه الألباني في "صحيح أبي داود"(١٤٧٤).

(٢) ضعيف؛ رواه أبو داود(١٦٨٢)، والترمذي(٢٤٤٩)، وضعفه الألباني في "ضعيف الجامع الصغير"(٢٢٤٩)

يقول ﷺ: «**بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَث، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْل الَّذِي بَلَغَ بِي، فَمَلأَ خُفَّهُ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، ثُمَّ رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟! قَالَ: «**فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ**»؛ متفق عليه(١).

ولما كان الأمر كذلك حرص رسول الله ﷺ على إضفاء أهمية السقيا للحاجّ، فقال ﷺ في حَجة الوداع: «**انْزِعُوا بَنِي**

(١) متفق عليه؛ رواه البخاري(٢٣٦٣)، ومسلم(٢٢٤٤).

عَبْـدِالْمُطَّلِبِ، فَلَـوْلا أَنْ يَغْلِـبَكُمُ النَّـاسُ عَلَـى سِـقَايَتِكُمْ لَنَزَعْتُ مَعَكُمْ»، فَنَاوَلُوهُ دَلْوًا فَشَرِبَ مِنْهُ؛ رواه مسلم(١).

إذ لـولا أن يظـن النـاس أن نـزع المـاء، وسـقيا الحـاج مـن النُّسُك لفعله ﷺ.

ولعظم أمر الماء حرَّمت الشريعة بيع ما يفضل من الماء، فقد جاء عن النَّبِيِّ ﷺ قوله: «**الْمُسْلِمُونَ شُرَكَاءُ فِي ثَلَاثٍ: فِي الْكَلَإِ وَالْمَاءِ وَالنَّارِ**»؛ رواه أبو داود(٢).

قـال في "عـون المعبـود": "الْمُـرَاد الْمِيَـاه الَّـتِي لَمْ تَحْـدُث بِاسْتِنْبَاطِ أَحَد وَسَعْيه كَمَاءِ الْآبَار، وَلَمْ يُحْرَز فِي إِنَاء أَوْ بِرْكَة أَوْ

---

(١) صحيح مسلم(١٢١٨).

(٢) صحيح؛ رواه أبو داود(٣٤٧٧)، وصححه الألباني في "الإرواء"(١٥٥٢).

جَـدْوَل مَـأْخُوذ مِـنْ النَّهـر، وَالْكَـلَأ: وَهُـوَ النَّبَـات رَطْبـه وَيَابِسه"اهـ(١).

وجاء في صحيح مسلم: «**أن النبي ﷺ نَهَى عَنْ بَيْعِ فَضْلِ الْمَاءِ**»(٢).

قـال الخطَّـابي رحمـه الله: "معنـاه مـا فضـل عـن حاجتـه وحاجة عياله وماشيته وزرعه" اهـ (٣).

والحـديث يـدلُّ علـى تحـريم بيـع فضـل المـاء، والظـاهر – والقول لصاحب عون المعبود – أنه لا فرق بين الماء الكائن في أرض مباحة، أو في أرض مملوكة، وسواء كان للشرب أو لغيره،

---

(١) عون المعبود للعظيم آبادي(٩/٣٢١).

(٢) صحيح مسلم(١٥٦٥).

(٣) معالم السنن للخطابي(٣/١٢٨).

وسواء كان لحاجة الماشية أو الزرع، وسواء كان في فلاة أو في غيرها.

وصَدَقة الماء لا تقتصر على السُّقيا فقط، أو على توزيع قوارير من المياه المعبَّأة، وهذا خيرٌ كثيرٌ؛ ولكن تشمل أيضًا المساهمة في حفر الآبار في الأماكن المحتاجة، وهذا من الصَّدَقات الجارية.

ولنتأمل هذه القصة العجيبة: عن ابنِ شَقِيْقٍ قال: سَمِعْتُ ابْنَ المبَارَكِ، وَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ قُرْحة خَرَجتْ فِي رُكبَتِهِ مُنْذُ سَبْعِ سِنِيْنَ، وَقَدْ عَالجَتُهَا بِأَنْوَاعِ العِلاَجِ، وَسَأَلْتُ الأَطِبَّاءَ، فَلَمْ أَنْتَفِعْ بِهِ. فَقَالَ لَهُ: اذْهَبْ فَاحفِرْ بِئْراً فِي مَكَانِ حَاجَةٍ إِلَى المِاءِ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَنبُعَ هُنَاكَ عَيْنٌ، وَيُمْسِكَ عَنْكَ الدَّمَ. فَفَعَلَ

الرَّجُلُ، فَبَرَأَ"(١). وقد تقرّح وجه أبي عبد الله الحاكم صاحب المستدرك قريباً من سنة فسأل أهل الخير الدعاء له فأكثروا من ذلك، ثم تصدق على المسلمين بوضع سقاية بنيت على باب داره وصب فيها الماء فشرب منها الناس، فما مر عليه أسبوع إلا وظهر الشفاء وزالت تلك القروح وعاد وجهه إلى أحسن ما كان(٢).

ومن صدقات الماء التي يغفل عنها الناس دفع قيمة فاتورة محتاج، أو المشاركة في ملء خزَّان جيرانك في العمارات

(١) سير أعلام النبلاء ط الحديث (٧/ ٣٨٣).
(٢) ذكره البيهقي في شعب الإيمان (٦٩/٥).

السكنية، فهذه كم سينتفع منها من رجال وأطفال ونساء من شرب ووضوء واغتسال، وتطهُّر وفوائد كثيرة(١).

نسأل الله تعالى أن يرفع عنا وعن المسلمين كل بلاء ووباء وفتنة وشر وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

وكتبه/

صغيّر بن محمد الصغيّر

(١) للاستزادة من الموضوع ينظر:

https://www.alukah.net/sharia/٠/١٣٤٨٤٨/

فهرس المحتويات

في أحلك الظروف الفرج مع الكرب سنة كونية ---------- ٥
الصبر في زمن الابتلاء ---------- ١٣
الاستغفار في زمن الابتلاء ---------- ٢١
الصدقة في زمن الابتلاء ---------- ٢٥
أثر صدقة الماء في زمن الابتلاء ---------- ٣١
فهرس المحتويات ---------- ٣٩

هذا الكتاب منشور في